Global Islamic Economics Magazine
مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

GIEM

الحرب على
الدراية التقنية Know-How ونماذجها

Volume No. 118, MARCH 2022 - SHAABAN, 1443

الحرب على الدراية التقنية Know-How ونماذجها

د. سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

@ FB , LinkIn , Youtube

يعمل الصُّناع في ورشات معلميهم ودكاكينهم لفترات طويلة ثم قد يترك بعضهم العمل وخاصة المهرة منهم ليفتح ورشته الخاصة به، بعد أن اكتسب ما اكتسبه من خبرات تؤهله للتميز والإبداع في عمله الخاص.

عندئذ يحتج بعض أصحاب العمل على ذلك العامل المستقل بعمله الجديد محاولين تقييده بحجة أنه اكتسب الخبرة والدراية لخشيتهم من المنافسة القريبة.

إن ما يكتسبه المرء نتيجة دراسته وممارسته هو حق له ما دام لا يؤذي عمله السابق، وكان جديراً بصاحب العمل السابق حماية أسرار عمله بتسجيلها ضمن أشكال الحماية القانونية إضافة للعقود والاتفاقيات مع العامل نفسه واللجوء إلى تقسيم العمل كي لا يطلع شخص بمفرده على كامل مراحل الدراسة التقنية، ويمكن اللجوء أيضاً إلى بعض الوسائل التي تضمن السبق والتفوق.

وهذا صراع وتنافس طبيعي.

إن الدراية know-how هي مزيج العلم والمعرفة التطبيقية، مزيج يظهر على شكل الخبرة في البحث والتطوير والتحسين، مؤداه التميّز في تقديم الحلول التقنية المحسّنة والموثوقة والقوية.

وتشمل الدراية الفنية أو التقنية؛ العمليات والتقنيات التصنيعية والاختراعات والتصميمات والرسومات والصيغ والمعرفة العملية، إضافة إلى مهارات البيع المستخدمة في ترويج المنتجات والخدمات وتسويقها. وتنجز هذه الدراية على شكل مهام ضمن الأنشطة اليومية، وقد يعلو شأنها لتكون أفكاراً ذات قيمة كبيرة لاستراتيجية المنظمة في السوق.

أين يمكن العثور على الدراية التقنية؟

توجد الدراية التقنية عادة في عقول العاملين؛ كمعرفة ضمنية أو حدس داخلي، في هذه الحالة لا يمكن أن تعتبر أصلاً من الأصول المملوكة للمنظمة؛ فإذا كانت الدراية التقنية ذات طبيعة حساسة، ومخصصة لأعمال معينة؛ فتكون قابلة ومؤهلة للحماية باعتبارها سرًا تجاريًا، وعندئذ يجب تسجيل هذه المعارف وحمايتها.

إن المعارف الواضحة، يجب أن تسجل وأن تدوّن؛ لأنها مجموعها يشكل الحقائق والقواعد والعلاقات والسياسات، القابلة للتحول إلى معارف قابلة للتنظيم، وعندئذ يمكن تقنينها، لتصبح أصولاً ذات قيمة، قابلة للتكرار، تدعم المزايا التنافسية للمنظمة؛ بغض النظر عن بقاء العاملين أو خروجهم منها.

وعليه؛ فإن الدراية التقنية know–how هي معرفةٌ تُمارس عمليًا في أداء مهمة ما، تُكتسب حقائقها العامة facts على شكل know–what، وتُكتسب حقائقها العلمية science على شكل know–why، ويكون التواصل communication على شاكلة know–who لنقل المعارف بين الأشخاص كتابة وكلامًا بمختلف الصيغ.

الدراية الصناعية Industrial know–how

يُنظر للدراية الصناعية عمومًا في سياق الملكية الصناعية على أنها ملكية فكرية. تشكل المعرفة فيها عنصر نقل التقنية ضمن البيئات المحلية والدولية، تتعايش معها: براءات الاختراع والعلامات التجارية وحقوق المؤلف، وكل ذلك، يجب تحويل معارفه إلى سرّ تجاري قبل النقل، ضمن اتفاقية قانونية.

وتظهر معارف الدراية التقنية كمعلومات محفوظة بشكل أو بآخر، على شكل اختراعات وصيغ وتصميمات ورسومات وإجراءات وبراءات اختراع غير مسجلة، إلى جانب المهارات والخبرات المتراكمة في أيدي العاملين المحترفين في المنظمة وهذا ما يمكن أن يُضفي ميزة تنافسية لها.

أما قيمة الملكية الكامنة في المعرفة فيحميها القانون العام بوصفها أسراراً تجارية بعد حمايتها، وقد حددت منظمة التجارة العالمية السر التجاري من خلال المعايير التالية:

يتمتع الأشخاص الطبيعيون والاعتباريون بإمكانية منع الكشف عن المعلومات التي تقع تحت سيطرتهم بشكل قانوني أو الحصول عليها أو استخدامها من قبل الآخرين دون موافقتهم بطريقة تتعارض مع الممارسات التجارية الشريفة طالما أن هذه المعلومات:

- سرية بمعنى أنها ليست معروفة بشكل عام أو يسهل الوصول إليها من قبل الأشخاص داخل الدوائر التي تتعامل عادةً مع نوع المعلومات المعنية؛
- لها قيمة تجارية لأنها سرية.
- خضعت لخطوات معقولة من قبل الشخص الذي يتحكم بشكل قانوني في المعلومات؛ لإبقائها سرية.

ولأغراض التوضيح، قد يكون ما يلي شرطًا في اتفاقية ترخيص يعمل على بيان وتوضيح المعرفة:

عرض الدراية التقنية show_how:

يُعد العرض شكلاً مبسطًا من المعرفة الفنية؛ فجولة في باحات التصنيع كفيلة بتوفير رؤى قيّمة لممثلي العميل حول كيفية تصنيع المنتج أو تجميعه أو معالجته، لذلك يستخدم العرض لإثبات التقنية، والعرض الواسع المزود بمحتوى نموذجي مؤداه عقد اتفاقيات مساعدة فنية، وفرص لتقديم برامج تدريبية لموظفي العميل في الموقع وخارجه.

يُستفاد من تراكم الخبرات والمعارف التقنية بعد أن تصبح أصولا مادية غير ملموسة محمية بالقانون؛ بإمكانية بيعها ونقلها والمشاركة بها مع الآخرين، فتصبح نافعة ومفيدة شأنها شأن الموارد الاستخراجية، لكن مع فارق جليّ؛ وهو أن الدول التي يعتمد اقتصادها على الصناعات الاستخراجية يكون اقتصادها ريعيًا تكثر مخاطره ويسهل محاصرته والتضييق عليه شأنه شأن ما يصيب الدول التي تعتمد على النفط والغاز والمواد الخام عمومًا[1]؛ لذلك عائداته ضعيفة وهشة وتتغير بتغير الظروف المحيطة تغيراً شديداً ينعكس على موازين مدفوعاته. أما من يملك الدراية التقنية وخبراتها فيتحكم بالمخاطر المحدقة به، وتكون دوله أكثر استيعابًا للشركات الإنتاجية والتقنية فيدعم بعضه بعضًا ويشد أزره بعضه بعضًا ولو من باب البراغماتية والمصلحية. لذلك تسعى بعض الدول النفطية كالسعودية مثلا إلى تنويع اقتصادها لتوزيع المخاطر وللخروج من بوتقة الريعية تجنبًا لمخاطرها الكبيرة.

ويعتبر من صور نقل الدراية التقنية (التكنولوجية) ترخيص إنشاء مصانع ومعامل في بلاد ثانية بشكل علني أو سري، فالعلني منها يشبه ترخيص تركيا لصناعة البيرقدار في باكستان وأوكرانيا وغيرهما، أما

[1] للمزيد مقالنا: كيف يحطم بلد اقتصاد بلد ويزيله؟، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية العدد ٨٩ أكتوبر ٢٠١٩، رابط: https://kantakji.com/3139

السري فهو كحال تصنيع الصواريخ الإيرانية في بلد عربي يعيش حربًا ضروسًا، ومثله أيضًا نقل الدراية التقنية لصناعة صواريخ حرارية فتاكة إلى بلد عربي آخر.

اتفاقيات الإفصاح عن الدراية التقنية

هناك مجموعتان من الاتفاقيات المرتبطة باتفاقيات نقل الخبرة الفنية:

١. **الإفصاح**؛ تحتاج الجهة المرخص لها معرفة "المحتوى" – المحدد أو الفريد أو العام – للدراية الفنية التي تمتلكها جهة الترخيص والتي تَعد بتقديم قيمة جوهرية إلى المرخص له عند الدخول في الاتفاق.

٢. **عدم الافشاء**، وهذا ما يجب على من يتلقون معلومات سرية بالخبرة المرخصة من جهة المرخص له، لأداء مهامهم؛ كموظفي الشركات الهندسية الذين يقومون ببناء المصنع للمرخص له، أو موظفي المرخص له الذين لديهم حق الوصول للبيانات التي يتم الكشف عنها لإدارة وظائفهم القائمة على المعرفة.

التحارب على الدراية التقنية:

الحرب لا تكون إلا لغاية مقصودة وغالبًا ما تكون غاياتها غير نبيلة باستثناء نشر دين الله تعالى أو الدفاع عن النفس، أما غايات الاستيلاء على الموارد، أو الاعتداء على الغير وما شابهها؛ فهي غايات غير محمودة.

والحرب مدمرة وآثارها الاقتصادية أليمة، وآثارها الاجتماعية عميقة، وآثارها السياسية مدمرة، ولها أيضًا آثار تاريخية؛ فالحرب على العراق جمعت كل الأبعاد السابقة، فهي تاريخية لأن الغزو توقف في ساعاته الأولى ريثما تمت سرقة آثار العراق لأنها برهان تقدمه التقني منذ التاريخ القديم، وقد قصد السارق نسب ذلك السجل التاريخي له بعد حيازته، وقصد أيضًا حرمان البلد المعتدى عليه من ذلك التاريخ العريق ليزيد بُعد أبنائه عن أي فكر حضاري وتطوري، فالتاريخ الذي تتغنى به الشعوب وتحن إليه ويكون بمثابة رافعة له، يعمل العدو على شطبه من ذاكرة شعوبه، وكلما ازدادت فترة الحرب والحصار كلما نست الأجيال ذلك التاريخ؛ بل ولربما كفرت به.

إن الكيان الإسرائيلي ما فتئ يهاجم المراكز العلمية السورية ويسعى إلى تخريبها وتدميرها، بالاعتداء الحربي لهدمها تارة، وباغتيال العلماء تارة أخرى، لتأخير أي دراية تقنية قد تُحدث فارقًا يؤدي إلى تغيير قواعد الصراع. كما دمر الكيان المفاعل النووي العراقي، وسعى مع الولايات المتحدة الأمريكية وبعض

الدول الغربية لتدمير المفاعل النووي الإيراني أو وقفه ولو جزئيًا، وقتلوا العلماء الإيرانيين واختطفوهم؛ لتشتيت أي تطور تقني يجعل من إيران قوة إقليمية.

ويعتبر المثال الألماني قدوة في إعادة هيكلة صناعاته من خلال المحافظة على قدراته التقنية من الموارد البشرية التي تحمل الدراية الفنية في عقولها وتتمتع قوتها العاملة بمهاراته؛ والتي استطاعت النهوض بعدما دمر الحلفاء البلاد والعباد إثر الحرب العالمية الثانية، لكن الآلة الألمانية سرعان ما عادت للدوران والتفوق عالميًا مستفيدة من قاعدتها المعرفية في صناعاتها الحربية التي تشكلت خلال الحرب العالمية وقبلها. كما استفادت من اليد العاملة التركية بسبب القرب الجغرافي للبلدين ولتقارب ثقافة شعبيهما. أدى ذلك الامتزاج إلى رفع سوية وكفاءة الدراية الفنية والتقنية لليد العاملة التركية؛ لذلك لما عادت هذه القوى إلى بلادها أحدثت فارقًا ملموسًا في صناعاتها وزراعاتها، وساعدت بيئتها السياسية الحاكمة إلى حُسن توطين تلك الدراية التقنية لتشكل السبب الجوهري لتطور الصناعة والزراعة التركية ومن ثم تطور صناعة الخدمات فيها.

الحصار التقني (التكنولوجي):

الحصار التقني، ومثاله حصار الغرب لسوريا وإيران وكوريا الشمالية التي تم عزلها عن نظام السويفت المالي وكذلك عن تقنيات المعلومات بشطب أسماء هذه الدول من قوائم الدول المتاح لها تلك الخدمات، ومازال هذا الحصار مستمرًا منذ تسعينيات القرن الماضي، ومثاله أيضًا حصار روسيا في حربها على أوكرانيا حيث شاركت أغلب دول العالم في ذلك الحصار بما فيها الصين الحليف القوي لروسيا.

يهدف الحصار التقني إلى توقيف التفوق التقني للبلد المحاصَر لإعادته نحو الخلف في السباق التقني، أو للتآزر مع البلد المحاصِر لإحداث تقارب ما، وكلما طال أمد الحصار واشتدت آثاره؛ صار أكثر حدة. إلا أنه قد يكون في بعض الحالات سبيلا لإحداث تقدم تقني كما حصل مع تركيا عندما حاصرتها الولايات المتحدة بإبعادها عن صناعة طائرات F35 رغم دورها الفعال فيها، فتحولت تركيا إلى تصنيع البدائل المحلية وتفوقت على منافسيها وتقدمت تقنيًا، خاصة في صناعاتها الحربية؛ بل أحدثت تغييرًا في مفاهيم المعارك من خلال شهرة طائراتها بدون طيار البيرقدار والتي زادت حيويتها كثيرًا بسبب إدماج الذكاء الصنعي فيها. أما ما ميّز تركيا عن الدول المحاصَرة المذكورة آنفًا إضافة لما تم ذكره؛ فهو توافر البنى التحتية للصناعة والاقتصاد والخدمات إضافة للبيئة التي تتسم بالحرية والمرونة وقلة الفساد، مما جعل الحصار سبيلا

للتطور بكل معاييره. أما حالة كوريا الشمالية فقد أحدث الحصار لها تطوراً ملحوظًا في صناعاتها الحربية وخاصة صناعة الصواريخ إلا أن خللاً جسيمًا أصاب باقي القطاعات الحياتية لشعبها.

ويعتبر وقف تزويد البلد المحاصَر بقطع الغيار أو التبديل شكلاً من أشكال الحصار التقني، ويكون مؤلمًا في أغلب الأحيان؛ لأنه يشلّ قطاعات حيوية عديدة يصعب على البلد المحاصَر التحول نحو إنتاجها بسرعة كافية مما يزيد الفجوة التقنية ويشتتها في مختلف أنحاء اقتصاد ذلك البلد.

إذًا ما تنتهجه كثير من الدول كالولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا في حصار بعضها البعض أو في حصار غيرها من الدول التي تحاول النهوض حضاريًا؛ يهدف للمحافظة على تفوقها وتقدمها ولو أدى ذلك لظلم غيرها وقتل شعوبه وتشريدهم بشن الحروب عليه دون رادع أخلاقي أو إنساني؛ فالحرب عندهم غائية أساسها النفعية البراغماتية تُغيَّب فيها الأخلاقيات، وتدفع بافتراءات تخدم تلك الغائية.

وتختزل الحرب الروسية على أوكرانيا ما سبقها من حروب ومن أمثلة ذكرناها، حيث كانت الأهداف المعلنة هي حرمان المعتدى عليه من أية دراية تقنية نووية وحربية؛ فبعد أن ساهمت الولايات المتحدة بالاتفاق مع روسيا على نزع الأسلحة النووية من أوكرانيا في أعقاب انسلاخ أوكرانيا عن الاتحاد السوفيتي، غاب عن بالهم الاستراتيجي أن الدراية الفنية بقيت في أوكرانيا، لذلك سرعان ما عاودت أوكرانيا تعويض ما خسرته بالحيلة والتهديد، فأعادت نشاطها في صناعة المحركات، وأعادت صناعتها النووية، وكذلك استفادت من تميزها بصناعة الطائرات وخاصة الميغ ٢٩ والصواريخ الأكثر فتكًا وقوة، عند ذلك شعرت روسيا بتنامي قوة أوكرانيا وهي البلد المجاور لها براً وبحراً وجواً، فما كان لها إلا أن غزتها لتدمير تلك البيئة الصناعية، وسلبتها خيراتها الزراعية المتفوقة في مجال القمح والعلف، والغنية بالموارد المعدنية الباطنية؛ وكأن ذلك يعتبر فرصة يجب كسبها، إلى جانب دفعها تقنيًا إلى الوراء من خلال تشتيت توزع العلماء والخبرات الأوكرانيين في العالم أو بقتلهم.

أما عن الحرب وقواعدها في شريعة الإسلام، فقد أخرج أبو داود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للجيش: **(انطلقوا بسمِ اللَّهِ وباللَّهِ وعلى ملَّةِ رسولِ اللهِ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلاً صغيراً ولا امرأةً ولا تغلُّوا وضمُّوا غنائمَكم وأصلحوا وأحسنوا فإنَّ اللَّهَ يحبُّ المحسنينَ)**.

أي أن التوحيد غاية، والنهي عن قتل العُزل والضعفاء وعدم المغالاة في القتل، والأمر بالإحسان، كل ذلك خُلق الجيش المحارب، وليس لهذه الأهداف تحوير أو تغيير حسب ما تقتضيه قواعد البراغماتية والمصلحة، بل يجب أن تبقى ضمن ذلك الإطار لأنه ثابت من ثوابت الشريعة الإسلامية.

إن ما يجب على الدول والجماعات والأفراد؛ هو أن تقدم للبشرية ما فيه النفع والخير لهم، وإن أكثر الناس خسارة هم الذين يظنون أنهم يُحسنون صنعًا وتدبيرًا؛ بينما أفعالهم غير سوية، وهذا ما سيعود عليهم بخسارة الدنيا والآخرة، قال تعالى: **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** (الكهف: ١٠٣-١٠٤).

حماة (حماها الله) بتاريخ ٩ شعبان ١٤٤٣ هـ الموافق ١٢ آذار/مارس ٢٠٢٢ م